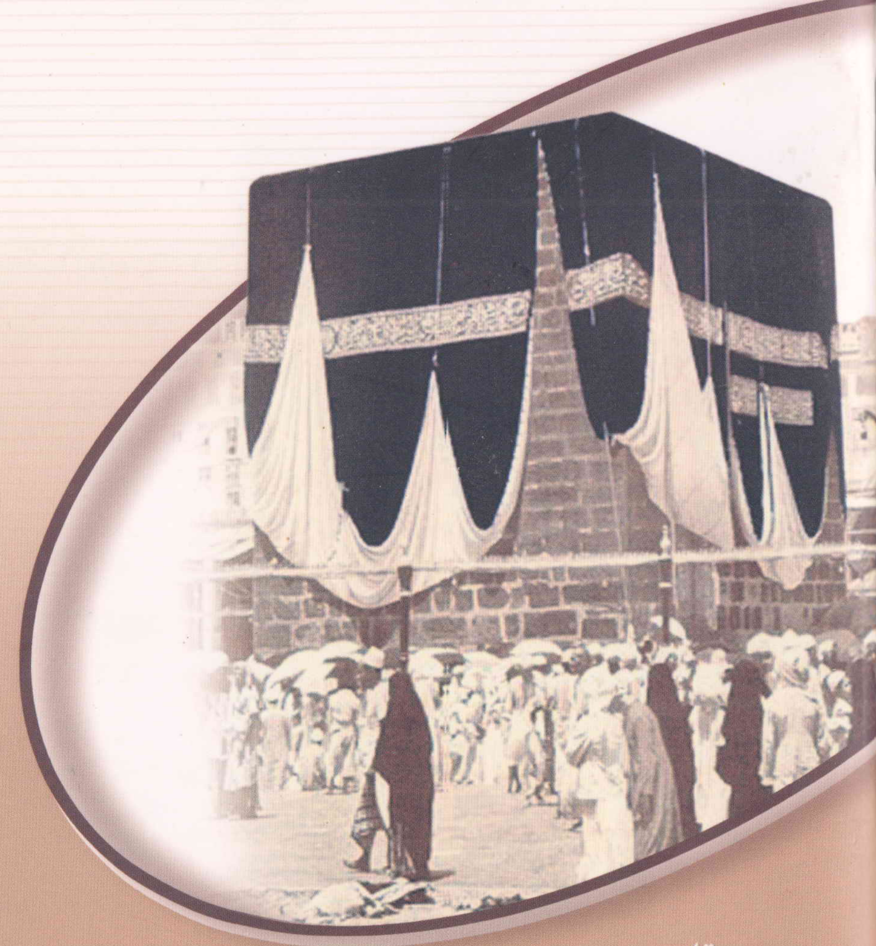
أبو طالب

حامي الرسول وعظيم الإسلام



بقلم
محمد جواد خليل

الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



المقدّمة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذه حلقة واحدة من مجموعة دراسات وبحوث، أعددتها في كتاب تحت عنوان: (مناقشاتي في أحاديث أهل السنّة)، وقد رأيت أن تُطبع بعض البحوث ..

بصورة مستقلّة لأسباب فنية مُعيّنة.

وهذه هي الحلقة الثالثة، وقد سمّيتها:

(أبو طالب حامي الرسول وعظيم الإسلام)

فأسأل اللّه تعالى التوفيق لإكمال نشر هذه السلسلة النافعة.

محمد جواد خليل

أبو طالب حامي الرسول وعظيم الإسلام

إنَّ من المؤسف - حقاً - أنَّ شخصية إسلامية عظيمة في مستوى سيدنا ومولانا أبي طالب (عليه السلام) تتعرض لحملات عِدائية طائشة، من بعض الأقلام الخائنة، التي أرادت الطعن في قداسة ولَدِهِ الإمام علي (عليه السلام) فاختارت هذه الطريقة غير المباشرة!!

ويعلم اللّه تعالى .. أنْ كم سيكون وقوف هؤلاء الأعداء .. طويلاً يوم القيامة أمام محكمة العدل الإلهية حينما يكون خَصْمهم رسول اللّه وسيدنا أبو طالب والإمام علي؟!!

أجل!

لقد كان أبو طالب مؤمناً باللّه الواحد الأحد، ومصدّقاً بنبي الإسلام، ومحامياً ومدافعاً عن رسول اللّه (صلى اللّه

عليه وآله وسلم) بالأسلوب الذي كان يجده هو الأفضل في صدّ نشاطات المشركين وإحباط مؤامراتهم ضد النبي الكريم.

فقد روى عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إنَّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم اللّه أجرهم مرتين[1] إنّ هذا الحديث يريد أن يذكر وجه الشبه بين موقف أصحاب الكهف وبين موقف سيدنا أبي طالب عليه السلام، حيث كان الوجه في ذلك هو إخفاء المعتقد إخفاءً في بعض الأوقات وفي بعض الحالات وعن بعض الأفراد والجماعات، وقد كان وجه الشبه بين موقف أبي طالب وبين أصحاب الكهف .. إنما هو من ناحية واحدة فقط، وهي:

١- كتاب الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٣٧٣، كتاب الحجة، حديث رقم ٢٨، باب مولد النبي ووفاته.

إخفاء العقيدة وليس من الناحية الثانية وهي (إظهار الشرك)!

لأن من الثابت الذي لا شك فيه: هو أن سيدنا أبا طالب (عليه السلام) لم يُشرك باللّه طرفة عين، ولم يظهر الشرك ولا لحظة!!

(كما أظهر ذلك أصحاب الكهف .. خوفاً على حياتهم) بل انتهج سيدنا أبو طالب أسلوباً مُعيّناً في طريقة دفاعه عن الرسول الأعظم .. وحمايته وحراسته له، فلم يكن إظهاره لإيمانه في منتهى العلنية والصراحة (بمعنى أن يقف بنفسه ويصلي خلف النبي في المسجد الحرام) لأنه كان يرى أن ذلك يفوّت عليه فرصاً أغلى وأهم. بل كان إظهاره للإيمان مع شيء من التحفظ والدبلوماسية وعدم الحرب العلنية المسلّحة ضد المشركين وكان المهم عنده:

هو انتظار ظروف مناسبة .. يتقوى فيها النبي الكريم بأصحابه وكثرة أتباعه.

وعلى هذا الأساس .. فقد آتى اللّه أجر سيدنا أبي طالب مرتين، وأعطى ثوابه ضعفين:

١- مرّة على إيمانه القوي الصلب.

٢- مرّة على ذكائه في اتخاذ موقف نابع من الذكاء وحسن التصرف.. في الظروف الطارئة، واتخاذ ما يلزم من موقف أو قرار .. أو إعلان بتصريح، أو مواجهة عنيفة.

والآن: إليك (أيها القارئ الكريم) بعض المعلومات والمقطوعات التاريخية الثابتة عن حياة سيدنا أبي طالب (عليه السلام) والأدّلة التي تدّل على إيمانه باللّه الواحد الأحد، وإيمانه بالنبي محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) نذكر هذه الأدّلة، ثم نذكر - بعد ذلك - خبراً وتعليقاً.

إنّ الأدّلة على إيمان أبي طالب كثيرة، ونحن نذكر بعضها:

الدليل الأول: خطبة أبي طالب

لما حضر أبو طالب مجلس عقد زواج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) من السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) وكان معه بنو هاشم ورؤساء مضر، خطب أبو طالب فقال:

(الحمد للّه الذي جعلنا من ذريّة إبراهيم، وزرع إسماعيل، وعُنصر مُضر، وجعلنا حضنة بيته، وسُوّاس[١] حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على الناس.

١- سواس: جمع سائس، من يقوم بشؤون خدمات ومتطلبات الإنسان أو المكان.

ثم إنّ محمد بن عبداللّه (ابن أخي) من لا يوزن به رجل من قريش إلا رَجُحَ عليه .. براً وفضلاً، وكرماً ومجداً ونبلاً، فإن كان في المال قلّ.. فالمال ظل زائل، ورزق حائل، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا، وهو - واللّه- بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل[1].

أقول: هذا شبح البطحاء أبو طالب يخبر القوم (أثناء خطبة النكاح) بمستقبل النبي محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قبل بعثته.

ولدى التدبر والتفكر في كلمات خطبته .. يظهر درجة إيمانه، ومستوى تفكيره، وأن قلبه كان مفعماً بالإيمان، وعامراً بالتوحيد وفي أعلى المستويات.

١- كتاب المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي، ج٢ ص٢٤٩، في النكاح وفضله والترغيب فيه، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.

الدليل الثاني: أشعار أبي طالب:

هناك أشعار كثيرة جداً، قالها أبو طالب، وهي تصرّح بإيمانه باللّه الواحد الأحد.. وإيمانه - أيضاً - بالنبي محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم). وقد ثبت - تاريخياً - نسبتها إليه، وهي موّزعة في كتب التاريخ والحديث، وإليك مقتطفات منها:

أولاً:

ما جاء في رسالته إلى ملك الحبشة (النجاشي) والتي يُشجّعه فيها على احترام وفد المسلمين .. والدفاع عنهم وحمايتهم من شر المشركين، ومنها هذه الأبيات:

ليعلم خِيارُ الناس أن محمداً

وزيرٌ لموسى والمسيح ابن مريم[1]

١- لعل الأصح هو نبي كموسى والمسيح ابن مريم.

أتـانـا بِـهـدْي مـثـل مـا أتـيـا بـه

فـكـلٌ بـأمـر الـلّـه يـهـدي ويَـعْـصِـم

وإنـكـم تـتـلـونـه في كـتـابـكـم

بِصدْق حديثٍ .. لا حديث المبرجم[١]

ثانياً:

ألم تـعـلـموا أَنَّا وجدنـا محمداً

رسولاً كموسى خُطَّ في أوّل الكتب؟!

وأنَّ عـلـيـه في الـعـبـاد محَبّـةً

ولا حَـيْـف فـيـمـن خَـصَّـه الـلّـه بالحُب[٢]

١- كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٢، ص٦٢٣، من كتاب الهجرة إلى الحبشة، طبع دار المعرفة، بيروت لبنان.

٢- سيرة ابن هشام ج١، ص٢٨٩، خبر الصحيفة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، القاهرة.

ثالثاً:

قال مخاطباً للنبي الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلم)

واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوسّد في التراب دفيناً

فَاصْدعَ بأمرك .. ما عليك غَضَاضَة

وأشِرْ بذاك وَقَرّ منك عيوناً

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي

ولقد دعوت وكنت ثَمّ أمينا

ولقد علمت بأنَّ دين محمد

من خير أديان البَريّة ديناً[1]

١- تاريخ أبي الفداء ج١، ص١٢٠، ذكر وفاة أبي طالب - والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ج٧ ص١٩٨ ترجمة رقم ١٠١٧٥.

رواها الثعلبي في تفسيره وقال: قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل وعبداللّه بن عباس والقسم بن محضرة وعطاء بن دينار.

رابعاً:

ألم تعلموا أنَّ ابننا لا مُكَذّب
لدينا، ولا نعبأ بقول الأباطل[١]

خامساً:

لقد أكرم اللّه النبي محمداً
فأكرمُ خلق اللّه في الناس أحمد
وشَقَّ له من اسمه ليُجلّه
فذو العرش محمود وهذا محمد[٢]

١- كتاب الغدير للأميني: ج٧، ص٣٣٩.
٢- تاريخ الخميس للديار بكري: ج١، ص٢٥٤، كفالة أبي طالب لرسول اللّه، بيروت.

سادساً:

جاء في صحيح البخاري:

... حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار عن أبيه قال:

سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب،

وأبيضَ يُستَسقى الغمامُ بوجههِ

ثِمالُ اليتامى عِصمةٌ للأراملِ

وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه، رُبما ذكرت قول الشاعر، وأنا أنظر إلى وجه النبي (صلى اللّه عليه وسلم) يستسقي فما ينزل حتى يَجيشَ كل ميزابٍ.

وأبيضَ يُستَسقى الغمامُ بوجههِ

ثِمالُ اليتامى عِصمةٌ للأراملِ

وهو قول أبي طالب[1].

١- كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري:

إنّ أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبد المطلب، حيث استتسقى لقريش، والنبي (صلى اللّه عليه وسلم) غلام.

ويُحتمل أن يكون أبو طالب مَدَحه بذلك، لما رأى من مخايل ذلك فيه وإنْ لم يشاهد وقوعه.

ويقول أيضاً:

ومعرفة أبي طالب بنبوة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) جاءت في كثير من الأخبار[1].

سابعاً:

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي، أن المأمون العباسي كان يقول: أسلم أبوطالب (واللّه) بقوله:

١- نفس المصدر السابق من حيث الكتاب والباب - فتح الباري.

نصـرت الـرسـول .. رسـولَ المليك

ببـيضٍ تـلألأ كـلـمعِ الـبُـروق

أَذُبُّ وأحـــمـــي رســـول الإلـــه

حــمــايــة حــامٍ عــلـيك شَفيق

إلى غير ذلك من الأشعار، ومن أراد المزيد فليراجع كتاب الغدير للشيخ الأميني ج٧ ص٣٣٠ - ٣٣٦ شعر أبي طالب.

الدليل الثالث:

لقد جاء في الأخبار: بأن قريشاً أمرت بعض سفهائها أن يُلقي على ظهر النبي سَلا الناقة[١] إذا ركع في صلاته، ففعلوا ذلك، وبلغ الخبر أبا طالب فخرج مُغضباً مع عبيد

١- سلا: الكيس الذي يتكون فيه جنين الناقة، ويُعبَّرُ عنه - في الإنسان - بـ (المشيمة).

له، فأمرهم أن يُلقوا السلى عن ظهره (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ويَغْسلوه ثم أمرهم أن يأخذوه فيُمرُّوه على أسْبلَة القوم (أي: شوارِبِهم) وهم إذ ذاك وجوه قريش! وحلف باللّه أن لا يبرح (أحد منهم) حتى يُفعل بهم ذلك فما امتنع أحد منهم عن طاعته، وأذلّ جماعتهم بذلك وأخراهم.[١]

الدليل الرابع:

قال ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ:

قال أبو طالب لعلي: ما هذا الدين الذي أنت عليه؟

قال: يا أبت! آمنت باللّه وبرسوله، وصلّيت معه، فقال (أبو طالب): أمّا إنّه لا يدعونا إلا إلى الخير .. فالزمه.[٢]

١- كتاب إيمان أبي طالب للشيخ المفيد ص٢٢ طبع المؤتمر العالمي، لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.

٢- ج٢، ص٣٨ طبع ١٣٨٧هـ بيروت.

الدليل الخامس:

وذكر المؤرخ ابن الأثير:

إنَّ أبا طالب رأى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وعلياً يُصلّيان، وعليٌ عن يمينه، فقال لجعفر (رضي اللّه عنه): صِلْ جناح ابن عمك وصَلِّ عن يساره.

وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي بقليل[١].

الدليل السادس:

يقول القرطبي في تفسيره:

كان النبي قد خرج إلى الكعبة يوماً، وأراد أن يصلي، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟

١- كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري، ج١، ص٥٤٢، ترجمة رقم ٧٥٩ طبع بيروت.

فقام ابن الزُبَعْرى فأخذ فرثاً فلطّخ به وجه النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فانفتل[١] النبي من صلاته ثم أتى أبا طالب عمه فقال: يا عم ألا ترى إلى ما فُعل بي؟!

فقال أبو طالب: من فعل بك هذا؟!

فقال النبي: عبدالله بن الزبعرى.

فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه، ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل .. جعل القوم ينهضون.

فقال أبو طالب: واللّه لئن قام رجل لجلّلته بسيفي، فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال (للنبي): يا بني! من الفاعل بك هذا؟

١- انفتل: أي انصرف كما في كتاب المعجم الوسيط.

فقال: عبدالله بن الزبعرى.

فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطّخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول[1].

أيها القارئ الكريم:

يقول اللّه سبحانه وتعالى في محكم كتابه وفصل خطابه:

﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾[2].

فالذي آوى الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) هو عمه أبو طالب، فهو الذي رباه وتَكَفّلة حتى كان أحب إليه من أولاده.

١- كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦، ص٤٠٥ - ٤٠٦، سورة الأنعام، آية ٢٦، طبع دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥هـ بيروت.

٢- سورة الضحى: الآية ٦.

الدليل السابع:

ذكر الواقدي في كتابه الطبقات الكبرى: فُقد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتيان من بني هاشم وبني المطّلب، ثم قال:

ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد، فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فإنه لم يغب عن شر إن كان محمد قد قتل.

فقال الفتيان: نفعل.

فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال.

فقال (أبو طالب) : يا زيد أحسستَ ابن أخي؟

قال: نعم، كنت معه آنفاً.

فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه.

فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وهو في بيتٍ عند الصفا ومعه أصحابه يتحدثون، فأخبره الخبر، فجاء رسول اللّه إلى أبي طالب.

فقال: يا بن أخي أين كنت؟ أكنت في خير؟

قال: نعم.

قال: أدخل بيتك، فدخل رسول اللّه.

فلما أصبح غَدَى على النبي صلى اللّه عليه وسلم، فأخذ بيده، فوقف به على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميون والمُطّلبيون.

فقال: يا معشر قريش، هل تدرون ما هممت به؟

قالوا: لا

وأخبرهم الخبر، وقال للفتيان:

اكشفوا عما في أيديكم.

فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة فقال: واللّه لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم .. وكان أشدهم انكساراً أبو جهل[1].

الدليل الثامن:

ذكر الشبلنجي في كتابه نور الأبصار:

عن علي رضي اللّه عنه أنه قال: لما مات أبو طالب أخبرت رسول اللّه بموته، فبكى ثم قال: اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر اللّه له ورحمه.

ففعلت، وجعل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته.

١- كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد الواقدي: ج١، ص١٣٥، ذكر ممشى قريش إلى أبي طالب في أمره، طبع ١٣٢٢هـ.

ويقول أيضاً - في كتابه - بأن هذا الشعر لأبي طالب:

ولـقـد عـلـمت بـأن ديـن محمـد

مـن خير أديـان البريـة ديـنـاً[1]

أيها القارئ المنصف نتسائل:

كيف يُغسّل المسلم - علي عليه السلام - رجلاً مشركاً باللّه (والعياذ باللّه من هذه الكلمة) ويُكفّنه ويدفنه؟!

الدليل التاسع:

يقول الشيخ المفيد رضوان اللّه عليه ما مضمونه:

لم يزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) عزيزاً ما كان أبو طالب حياً، ولم يزل ممنوعاً من الأذى حتى توفاه اللّه تعالى.

---

١ - ص٢٧-٢٨، فصل في تعاهد قريش على قتله صلى اللّه عليه وسلم وموت عمه، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

فجاء جبرئيل (عليه السلام) وقال للنبي:

إن اللّه (عز وجل) يُقرؤك السلام ويقول لك:

أخرج من مكة .. فقد مات ناصرك[١].

الدليل العاشر:

تُعتبر السيد فاطمة بنت أسد - والدة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) - : من النساء المسلمات الأوائل، ولم يُفرّق النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بين هذه المرأة المسلمة الجليلة.. والحنونة على النبي طوال حياتها، وبين عمه أبي طالب - الذي يزعم البعض أنه مات مشركاً! - في كيفية التعامل معهما بعد الوفاة. من ناحية إجراء مراسم. التشييع والدفن، والحزن والعزاء.

١- كتاب إيمان أبي طالب، ص٢٤.

وهذا يدلّ على أنهما كلاهما كانا مُسلمين مؤمنين مُوحّدين.

الدليل الحادي عشر:

يقول الشيخ المفيد: لما قُبض أبو طالب رحمه اللّه أتى أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، فآذنه بموته[١]، فتوجّع لذلك النبي، وقال: امض يا علي فتولّ غُسله وتكفينه وتحنيطه، فإذا رفعته على سريره فأعلمني.

ففعل ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما رفعه على السرير اعترضه[٢] النبي فرقّ له وقال:

وَصَلت رَحِماً،

وجُزيت خيراً،

فقد ربّيت وكفّلت صغيراً.

١- آذنه: أعلمه.

٢-اعترضه: أي اتجه نحوه كما يستفاد من كتاب العين للخليل.

وآزرت ونصرت كبيراً.

ثم أقبل على الناس فقال: أما واللّه لأشفعنّ لعمي شفاعة يعجب منها أهل الثقلين[1].

أخي الكريم:

لقد قرأت أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم دعا لعمه بالخير، وأخبر بأنه سوف يشفع له - يوم القيامه - شفاعة مُميّزة. هذا.. ولو كان عمه مشركاً أو كافراً لما كان النبي يدعو له، ويخاطب جثمانه بتلك الكلمات المُعبّرة عن مشاعره تجاه عمه وكفيله.

الدليل الثاني عشر:

قال الشبلنجي الشافعي في كتابه نور الأبصار:

وفي هذه السنة العاشرة من النبوة كانت وفاة خديجة

١- كتاب إيمان أبي طالب: ص٢٥ - ٢٦.

الكبرى (رضي اللّه عنها)...

فتوالت على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في هذه السنة مصيبتان:

موت عمه أبي طالب وخديجة رضي اللّه عنها[١].

ويقول الشيخ محمد الصبّان في رسالته:

سُمّي ذلك العام عام الحزن، ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي (صلى اللّه عليه وسلم) من الأذى، ما لم تكن تطمع فيه .. في حياة أبي طالب[٢].

ويقول ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل:

... فعظمت المصيبة على رسول اللّه بهلاكهما، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم): ما نالت قريش مني

١- ص٢٨، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢- رسالة الصبان في أهل البيت، ص٢١، الباب الأول، سيرة النبي الأعظم، الطبعة الثامنة، ١٩٦٣م.

شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب، وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه - بعد موت أبي طالب - إلى ما لم يكونوا يصلوا إليه في حياته، حتى نثر بعضهم التراب على رأسه[١].

(أي: على رأس الرسول الأعظم!).

أقول: لو كان سيدنا أبو طالب مشركاً - كما يزعم ذلك بعض الحاقدين - فكيف يحزن النبي الكريم .. لموته إلى درجة أنه يُسمّي ذلك العام بـ (عام الحزن)!

قد يجيب البعض من شياطين الإنس أو من السُّذج والعوام، بأن حزن النبي كان لمجرد فقده المحامي له.

ونحن نقول: لا يمكن أن يكون ذلك لمحامي مشركاً، لأن المشركين كانوا - ولا يزالون - يعادون الإسلام ونبي الإسلام، كما قال تعالى:

١- ج٢، ص٦٣، ذكر وفاة أبي طالب، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ بيروت.

﴿لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...﴾[١].

الدليل الثالث عشر:

جاء في كتاب الطبقات الكبرى للواقدي:

أن أبا طالب - لما حضرته الوفاة دعا بني عبدالمطلب فقال:

لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبّعتم أمره فاتبعوه، وأعينوه تُرشدوا[٢].

الدليل الرابع عشر:

قال ابن كثير في تاريخه:

ثم إن المشركين اشتدّوا على المسلمين، كأشّد ما كانوا،

١- سورة المائدة، آية ٨٢.

٢- ج١، ص٧٨، باب ذكر أبي طالب وضمه لرسول اللّه، طبع ١٣٢٥هـ.

حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتدّ عليهم البلاء، وجمعت قريش في مَكرها أن يقتلوا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم، جمع بني المطلب وأمرهم أن يُدخلوا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم شِعبهم، وأمرهم أن يَمْنعوه ممّن أرادوا قتله. . . .

فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وأجمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يُجالسوهم، ولا يُبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يُسلموا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم للقتل[1].

ويقول ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل:

---

١ - البداية والنهاية: ج٣، ص٨٤، فصل في مخالفة قبائل قريش بني هاشم، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م، مكتبة المعارف، بيروت.

فلما فعلت قريش ذلك، انحارت بنو هاشم وبنو المُطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شِعبه، واجتمعوا، وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبدالمطلب إلى قريش...

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جهدوا لا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سِراً[1].

فبالله عليك أخي الكريم .. وبعد قراءتك لهذه الروايات، هل يحتاج ذلك إلى تعليق؟! وهل أنت في شك من إيمان شيخ البطحاء؟

فإنّ أقلّ ما يقال في أبي طالب، أنه كان في ذلك الشِعب مع الرسول الأكرم مدة ثلاث سنوات عجاف، حتى سُمّي ذلك الشِعب باسمه (شعِب أبي طالب).

١- ج٢، ص٥٩ - ٦٠، ذكر أمر الصحيفة، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

فأسأل نفسك: وكن منصفاً في الإجابة، هل كان أبو طالب على دين النبي أم كان على دين قريش كما تدعى العامة ذلك؟

فمن يتحمل كل تلك المصاعب، والصبر على أذى المشركين طيلة ثلاث سنوات، فهل يعقل أن يكون مشركا أو أنه كان على دين قريش؟!!

ومما لا شك فيه أنه كان مؤمناً برسالة النبي الأكرم.

الدليل الخامس عشر:

قال ابن سعد الواقدي في طبقاته - في ذكره حصر قريش رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وبني هاشم في الشعب - :

... فقال أبو طالب لكفار قريش:

إنّ ابن أخي قد أخبرني - ولم يكذبني قط - :

أنّ اللّه قد سلط على صحيفتكم الأرَضة[١]، فلَحَسَت كل ما كان فيها من جَور أو ظُلم أو قطيعة رحِم وبَقِيَ فيها كل ما ذُكر به اللّه، فإن كان ابن أخي صادقاً .. نزعتم سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم .. فقتلتموه أو استحييتموه.

قالوا: قد أنصفتنا.

فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها، فإذا هي كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فسُقط في أيديهم ونُكسوا على رؤوسهم.

فقال أبو طالب: علىَ مَ نُحبس ونُحصر وقد بان الأمر[٢]؟!.

١- الأرضة: دابة صغيرة بحجم كبار النمل، وهي تأكل الخشب والورق. لسان العرب لابن منظور.

٢- الطبقات الكبرى ج١، ص١٤٢ - ١٤٣.

لاحظ أن أبا طالب كان متيّقناً ومصدقاً بالرسول الأكرم حين قال لمشركي قريش (قد أخبرني ولم يكذبني قط).

يا تُرى إنّ من يُصدق قول النبي في هذه الصحيفة كيف لا يصدقه ويتّبعه في دينه؟!.

واقرأ معي ما جاء في السيرة النبوية لابن هشام:

... إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له:

... يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد، أنهد - أي أشد - فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي ... فرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل.

فقال: واللّه لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا واللّه ما لا يكون أبداً[١] . . . .

لاحظ الجملة الأخيرة من قول سيد البطحاء:

(أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا واللّه ما لا يكون أبداً).

في حين أننا قد قرأنا ما جاء في أمر الصحيفة وقول أبي طالب عندما قال لكفار قريش: (أن اللّه قد سلط على صحيفتكم الأرضه...) ثم قال: (فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه...).

١- ج١، ص٢٤٠ - ٢٤١، قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب، طبعة ١٩٧٥م، دار الجيل، بيروت.

فباللّه عليك أخي القارئ! كيف بأبي طالب يرفض أن يسلّم النبي للمشركين كما في رواية ابن هشام؟!.

وأما في رواية (الصحيفة) يقول وبكل ثقة بأنه سوف يدفعه للمشركين كي يقتلوه.. إن كان كاذباً؟!!.

ألا يدُلّنا ذلك على أن أبا طالب كان مصدقاً النبي في كل ما يقوله وأنه كان مؤمناً برسالته؟!.

الدليل السادس عشر:

جاء في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لإبن عبدالبر القرطبي في ترجمة عقيل بن أبي طالب:

أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال له: يا أبا يزيد! إني أُحبُّك حُبّين: حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إيّاك[1].

١- ج٣، ص١٨٦، ترجمة رقم ١٨٥٣، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

أقول:

إنّ هذا الحديث يدُلّ - بكل صراحة - أن النبي الأكرم كان يحب عقيلاً حُبَّين اثنين:

الحُبُّ الأول: لأنه ابن عمه ومن دمه ولحمه، ومن أرحامه.

الحُبُّ الثاني: لأن أبا طالب عليه السلام كان يحب عقيلاً حباً جماً.

وبما أن النبي الأكرم كان يحب عمه أبا طالب، فإنه قد جمع هذا الحب مع حبه الخاص لإبن عمه، فصارا حُبّين. ألا يدُلّنا هذا على أن النبي ازداد حباً لعقيل، بسبب كثرة حُبّه لعمه أبي طالب؟!

ولو كان أبو طالب مات مشركاً - كما يدعي أهل العامة ذلك - فكيف يُحبّ النبي عمه بعد موته طالما مات العم مشركاً؟!

إنّ هذا العمل غير لائق بالنبي الأكرم، لأن اللّه تعالى قد نهى عن ذلك في مواضع مُتعّددة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدّوي وعدّوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾[1].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قل أطيعوا اللّه والرسول فإن اللّه لا يُحبُّ الكافرين﴾[2].

وقوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا آبائكم وإخوانكم أولياء إنْ استَحَبّوا الكفر على الإيمان ومن يَتَولّهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾[3].

فكيف نُوَفّق بين ذلك الحُب المُركّز من النبي لعمه أبي

١- سورة الممتحنة، آية ١.

٢- سورة آل عمران: آية ٣٢.

٣- سورة التوبة، آية ٢٣.

طالب وبين صريح هذه الآيات الناهية عن محبّة المشركين؟

الجواب: لا حل لذلك، سوى أن نقول:

إن أبا طالب كان مؤمناً، ولم يكن مشركاً.

كما يزعم ذلك بعض الشواذ.

الدليل السابع عشر:

جاء في صحيح البخاري، في باب الدعاء للمشركين، من كتاب الجهاد والسير:

قال أبو هريرة: ... قدِم طُفيل بن عمرو الدوسي[١] وأصحابه على النبي صلى اللّه عليه وسلم فقالوا:

يا رسول اللّه إنّ دَوساً عَصَت وأبت، فادعُ اللّه عليها، فقيل: هلكت دَوس!

١- الدوسي: نسبة إلى دوس وهي قبيلة من الأزد في اليمن كما يستفاد ذلك من لسان العرب لابن منظور.

قال: اللهم اهدِ دوساً وائتِ بهم[١].

لاحظ أن الطفيل يطلب من النبي الأكرم أن يدعو على دوس .. وذلك لأنها أبت الدخول في الإسلام. ونقرأ أن النبي الأكرم خالف طلب الطفيل، فدعا لقبيلة دوس، ولم يَدْعُ عليها، وذلك من شفقته ورأفته ورحمته على البشرية.

ونحن نعلم أنه لم توجد بين النبي الأكرم وبين قبيلة دوس قرابة، أو ما أشبه ذلك.

ونعلم - أيضاً - بأن دعاء النبي مستجاب، وأن دعاءه يخرق الحُجُب السبعة، وبدعاءه ذلك - دخل أهل دوس في الإسلام، كما أخبرنا التاريخ بذلك.

هذا .. مع الانتباه إلى أن أبي طالب كان قريباً من النبي، من حيث القرابة والمسافة.

١- لقد تكرر ذكر هذا الحديث في صحيح البخاري في كتاب المغازي باب قصة دوس.

يضاف إلى ذلك: أن النبي الأكرم كان يتمنى ويحب دخول عمه في هذا الدين. واللّه تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾[1].

ومن الواضح أن أبا طالب من قرابة النبي الأكرم وأهله.

فهل يا ترى أن النبي كان مقصراً في دعوة عمه؟! فكيف نُوَفّق بين دعاء النبي لقبيلة دوس .. البعيدة، وإهماله لعمه القريب منه في النسب والمسافة؟؟!!.

وأقول: إن كان ما قرأناه في التاريخ حقاً، فإني أقول - متسائلاً أو معاتباً - :

أمِنَ العدل يا رسول اللّه!

١- سورة التحريم، آية ٦.

أنْ تدعو لأهل دوس بالدخول في الإسلام وبهدايتهم، وتترك الدعوة لعمك أبي طالب؟!

أبي طالب الذي كَفلكَ وآواك، وربّاك وحماك، ودافع عنك دفاع المستميت، حتى شهد له بذلك العدو والصديق، والموالي والمخالف.

ما هكذا الظن بك يا رسول اللّه!

ثم إن أبا طالب كان رجلاً واحداً فقط، ومن السهل دخوله في الإسلام، وذلك بدعائك، وكان مُهيّئاً لقبول الدعوة أيضاً.

أما أهل دوس، فهم بالألوف المؤلفة، والنبي الذي يتمكن من إدخال كل هذا الجمع في الإسلام، ومن تلك المسافة البعيدة .. بين المدينة ودوس التي هي باليمن، كيف به لا يدعو لعمه، أو لا يستطيع أن يُدخل عمه في الإسلام؟!.

خبر وتعليق

روى مسلم في صحيحه:

... عن عبدالملك بن عمير ... عن العباس بن عبدالمطلب أنه قال: يا رسول اللّه! هل نفعت أبا طالب بشيء .. فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟

قال: هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار![1].

أقول: إن من رواة هذه الرواية عبدالملك بن عمير، قال فيه ابن المنذر الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ في كتابه الجرح والتعديل:

عبد الملك بن عمير: لم يوصف بالحفظ! يختلف عليه الحفاظ.

١- كتاب صحيح مسلم: المجلد ١، ج١، ص١٣٤، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي، طبع دار الفكر، بيروت.

عبدالملك بن عمير: مُخَلّط، ليس بحافظ، تغيّر حفظه قبل موته.

ويقول فيه أحمد بن حنبل:

عبدالملك بن عمير: مضطرب[١].

وقال في موضع آخر:

عبدالملك بن عمير: مضطرب الحديث جداً مع قلة روايته.

وقال فيه يحيى بن معين: مخلط.

وقال أبو حاتم: ليس بحافظ ... تغير حفظه قبل موته ... لم يوصف بالحفظ[٢].

وجاء في صحيح البخاري كتاب الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا اللّه.

١- ج٥، ص٣٦٠، ترجمة رقم ١٧٠٠.

٢- تهذيب الكمال ليوسف المزي المتوفى سنة ٦٤٢هـ، ج١٨، ص٣٧٣ - ٣٧٥، ترجمة رقم ٣٥٤٦، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.

... عن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبداللّه بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لأبي طالب: يا عم! قل لا إله إلا اللّه كلمة أشهد لك بها عند اللّه.

فقال أبو جهل وعبداللّه بن أبي أمية:

يا أبا طالب أترغب من ملة عبدالمطلب؟!

فلم يزل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يعرضها عليه ويعودانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملّة عبدالمطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا اللّه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: أما واللّه لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك، فأنزل اللّه تعالى فيه:

﴿ما كان للنبي...﴾. انتهى

الرد على ما ورد في صحيح مسلم والبخاري

لقد قام علماء الشيعة الكرام.. للكشف عن هذه الدسائس والأكاذيب، فيقول المحقق العظيم الشيخ عبدالحسين الأميني، في كتابه الغدير:

راوي هذا الحديث: سعيد بن المسيب، وهو ممّن ينصب العداء لأمير المؤمنين علي عليه السلام فلا يُحتج بما يقوله ويقول أيضاً:

... هذه الآية نزلت بالمدينة .. ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يَستغفروا للمُشركين ولو كانوا أُولي قُربى من بعد ما تبيّن لهم أنّهم أصحاب الجحيم﴾[1] بعد موت أبي طالب بعدّة سنين، تربو على ثمانية أعوام.

١- سورة براءة آية ١١٣.

فهل كان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) خلال هذه المدّة .. يستغفر لأبي طالب عليه السلام آخذاً بقوله واللّه لاستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك؟!.

وكيف يستغفر له وكان هو والمؤمنون ممنوعين من موادّة المشركين والمنافقين وموالاتهم؟ والاستغفار لهم من أظهر مصاديق الموادّة والتحابب ![1].

أضيف فأقول:

ومما يدُلّ على انحراف سعيد بن المسيب (عقائدياً) عن أئمة أهل البيت: هو ما ذكره الواقدي في كتابه الطبقات: من أنّ سعيد بن المسيّب مرّ بجنازة الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .. ولم يُصلّ عليها!

١- الغدير ج٨ ص ٩ - ١٠ الآيات المحرفة في سيدنا أبي طالب، بتصرف.

فقيل له: ألا تُصلّ على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟

فقال: صلاة ركعتين أحبُّ إليّ من الصلاة على الرجل الصالح!![1].

وأما سماحة الفقيه العظيم سماحة السيد محمد الحسيني الشيرازي - دام ظله - فإنه يقول في تفسيره لهذه الآية الشريفة في توضيح قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ اللّه يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾[2].

إنك يا رسول اللّه لا تهدي من أحببت أي: لا تتمكن من هداية من تحب أن يهتدي من الناس.

١- ج٣، ص٤٢٦، الطبقة الثانية من أهل المدينة من التابعين، علي بن الحسين، طبع ١٤١٤هـ.

٢- سورة القصص آية ٥٦.

فإن الرسول كان يحب هداية عمه أبي لهب وغيره من أشراف قريش .. بل الناس أجمعين، ولكنه لم يكن يتمكن من ذلك.

والمراد بـ (الهداية): العمل الذي يجبرهم على الإسلام.. لا مجرّد إرائه الطريق.

﴿ولكن اللّه يهدي من يشاء﴾ بأن يلطف به الألطاف الخفيّة، حيث يراه مستعداً للإيمان .. مهيّئاً نفسه للإذعان، فإراءة الطريق من اللّه والرسول عامة لكل أحد.

أما الألطاف الخفية فالرسول لا يقدر عليها، واللّه قادر عليها، لكنه إنما يلطف بها على من أعد نفسه وأخذ يأتي في الطريق.

وممّن تنطبق عليه هذه الآية الكريمة هو (سيد قطب) مؤلف كتاب (في ظلال القرآن) الذي لم يهتدِ بنور

الإيمان، إذ مُلئ قلبه بالحقد والغلّ للرسول وآله وذويه، فتراه ينتقص من الرسول الأعظم .. ومن عمه وسائر قرابته، في لفائف من الكلام المزيّف، بالتقليد الأعمى من الأمويين أعداء اللّه والرسول، وأغصان الشجرة الملعونة في القرآن، فقد أخذ يُطبّق هذه الآية الكريمة على سيدنا أبي طالب! مع أنه قد قرأ ما ورد من طريق السنة والشيعة، أن أبا طالب من أول المؤمنين بالرسول الكريم، وهو القائل:

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البريّة دينا

ولو كان أبو طالب والداً لواحدٍ من رموز الخط المناوئ لأهل البيت .. لرفعوه إلى مقام الملائكة المقربين، ولكن ذنبه الوحيد! أنه والد الإمام علي أمير المؤمنين! وأنعم وأكرم بالوالد وما ولد!.

وماذا عساني أن أقول ..

فيمن يطبّق آية (عبس وتولى) على الرسول ليبرّئ ساحة عثمان الذي وردت فيه الآية[1].

١- كتاب تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٢٠، ص٧٣.

خلاصة البحث

ونختصر القول فنقول:

إن التاريخ قد دوّن في وقت متأخر، وفي ظل حكام جائرين ومستبدّين، وهكذا بالنسبة إلى تدوين الأحاديث، فقد كانت السلطات الحاكمة تفرض على المسلمين أن يغيّروا في الإسلام ويدونّوا ما يهواه الحاكم، وذلك طبقاً لميولهم، وقد كان بعض الكتاب والمحدثين يتحمّس للمبالغة في التحريف .. إرضاءً لذلك الحاكم.

وبعض هؤلاء، كان حاسداً ومبغضاً للإمام علي عليه السلام وعاجزاً عن الطعن فيه، رغم جميع محاولاته.

وعلى هذا الأساس، قاموا بتوجيه سهام ذلك الحقد الدفين والحسد البغيض .. إلى أبيه، وذلك بهدف محاولة

المساواة بين والد الإمام علي عليه السلام وبين آباء كبار من يعتقدون بهم .. من الخلفاء أو الحكام!.

فالتاريخ يذكر لنا: أن والدي عمر بن الخطاب قد ماتا على الشرك! وكذلك والدي عثمان بن عفان، فإنهما ماتا على الشرك أيضاً.

وآباء هؤلاء الذين ذكرناهم آنفاً .. ليس لهم ذكر في التاريخ، لا قبل الإسلام ولا بعده، وهذا ثابت لا يختلف فيه اثنان.

فعندما لم يجد الأعداء نقصاً أو عيباً في الإمام علي عليه السلام قاموا بتوجيه الضربة إلى أبي طالب.

ونحن في ختام هذا البحث أقول:

لقد مر عليك في الصفحات السابقة (حديث الضحضاح) وأن أبا طالب في النار، وأن دماغه يغلي من

أثر الجمرة التي تحت قدميه، كما في بعض رواياتهم، وما إلى ذلك من أقوال الوضّاعين الكذابين.

وأنا في الحقيقة لا أعلم ما هي فائدة تلك الجمرة التي تحت قدمي أبي طالب ويغلي منها دماغه؟!

فطالما هو في النار فما فائدة تلك الجمرة؟!

وكأن الراوي قد أراد أن يشفي غليل صدره الحاقد، فأضاف هذه الكلمة إلى أكاذيب من كان قبله!

قال تعالى:

﴿ولا تحسبنّ اللّه غافلاً عما يعمل الظالمون إنّما يؤُخّرهم ليوم تَشَخصُ فيه الأبصار﴾[1].

وأخيراً أقول:

هل نترك كل تلك الروايات والأدلة القاطعة على إيمان

١- سورة إبراهيم، آية ٤٢.

أبي طالب عليه السلام؟! ونتمسّك بالراوية النكِرة! والرواة المشبوهين كسعيد بن المسيّب! وعبدالملك بن عمير! ومن على هذا النمط، هؤلاء الذين طعنوا في إيمان أبي طالب في حين أنهم رفعوا قدر وشأن بعض الصحابة الذين كانوا إلى القدح فيهم أقَرب وأولى!

فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين.

ومن أراد المزيد فليراجع هذه المصادر

١- أبو طالب مُؤمن قريش

للكاتب الـمُعاصِر عبدالله الخُنَيزي.

٢- إيمان أبي طالب

للشيخ المفيد ، المتوفى سَنة ٤١٣هـ.

٣- الحُجة على الذاهِب إلى تكفير أبي طالب

للسيد علي بن فخار الموسوي ، الـمُتوفى سَنَة ٦٣٠هـ.

٤- أسنى المطالب في نجاة أبي طالب

للعالم أحمد بن زيني بن أحمد دحلان الشافعي، الـمُتوفى سنة ١٣٠٤هـ.



٥- مواهب الواهب في فضائل أبي طالب

للعالم الكبير الشيخ جعفر النَقدي ، المُتوفى سنة ١٣٧٠هـ.

٦- شيخ الأبطح أو أبو طالب

للعلامة السيّد محمد علي آل شرف الدين العاملي.

٧- صفحات من حياة سيدنا أبي طالب

للكاتب المعاصِر السيّد مصطفى بن محمد كاظم القزويني.



الفهرس